

فيه أنه بسبب ما بيناه وذكراؤه من خفاء معني
 البلاغة والفصاحة على عامة الامم وصعوبة ادراكها
 ودقة مدركها على أكثر الملل لا بد من أن تؤثر
 شبهاتهم في كثير من النفوس الساذجة وتوجد
 تشكيكاتهم شكوكا في القلوب البسيطة . ولومشى
 علماؤنا في اثبات اعجاز القرآن مشى السابقين الاولين
 وسلكوا مسلك الأئمة الهداة الراشدين لنهوا
 الامة وسدوا هذه الثلمة ولأناروا الابصار
 واطمأنت بهم الضمائر . ولكن الله تعالى بسابق
 علمه ومحتوم قضائه ودقيق حكمته وخفي تمحيصه
 أبي الا أن يتم فيهم ما أنذرهم به الرسول عليه السلام
 ويذيقهم بعض ما كسبت أيديهم في سابق الايام .
 فقدروا في صحيح أحاديثهم عن أبي داود والترمذي
 عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 انه قال (اذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها
 الى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى تلحق

قبائل من أمتي المشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي
 الاوثان . وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون
 كلهم يزعم انه نبي الله) الى آخر الحديث ونقلوا
 عن دلائل النبوة رواية عن أبي داود والبيهقي عن
 ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال
 (يوشك الامم أن تداعى عليكم كما تداعى الاكلة
 الى قصعتها . فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ .
 قال بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء
 السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم
 وليقذفن في قلوبكم الوهن . قال قائل يا رسول الله
 وما الوهن قال حب الدنيا وكرهية الموت) . الى
 كثير من أمثال هذه الاحاديث الصحيحة التي
 أخبر فيها الرسول عليه السلام عما يؤول اليه حال
 أهل الاسلام وصدقه تتابع الليالي والايام وأظهره
 كرور الدهور والاعوام . فطوبى لنفس عرفت
 آخرتها وأوليها وألهمت فجورها وتقواها . طوبى

لقلوب اهتزت من نفحات يوم الله . طوبى لعيون تنورت من مشاهدة آيات الله . وشامت نألق برق الهدى من حى معهد اللقاء . وتشوفت الى رياض البقاء من مشهد الفداء . اولئك هم الراسخون الثابتون . اولئك عليهم صلوات من ربهم واولئك هم المفلحون

ونحن نورد هنا بعض ما كتبه علماء النصارى في رد استدلال علمائنا بفصاحة القرآن . ثم نردفه بملاحظاتنا عليه افادة للطلاب وتكميلا لما تستزومه الحجة في هذا الباب . ونسأل الله تعالى أن يؤيدنا بروح منه انه هو ولينا في المبدأ والمآب
ومن أعجب ما رأيناه في هذا الباب كتاب صنفه جرجيس صال الانكليزى وسماه (مقالة في الاسلام) وترجمه هاشم الشامي أحد نصارى بر الشام وذيله بتدليل مفصل باللغة العربية وطبعته الجمعية الدينية الامريكية في عام (١٨٩١) من

الاعوام الميلادية ونشرته في القاهرة المعزية حاضرة البلاد المصرية . ونحن نورد في هذه الوجيزة ايرادات كل من المصنف والمترجم والبادى والمذيل فيما يتعلق بفصاحة القرآن وعدم فصاحته حيث يوجد بينهما تناقض واضطراب وتباين واختلاف شأن كل من يرد على الله ويعترض عليه وليس له مبدء تمسك به ويسند اليه . وهما هي بنصوصها وحروفها

﴿ قال الفاضل الانكليزى في صفحة ١٢١ ﴾

وعبارة القرآن حسنة ومنسجمة في اكثر المواضع ولا سيما حيث يحاكي أسلوب الانبياء ويتقيل نمط التوراة وهي موجزة وغالبا عويصة مستغلقة يزينها أنواع من الكنايات والاستعارات بحسب ذوق المشرقين . ولكلامه رونق وزخرف وتحبير وفيه كثير من الجمل البليغة في ايجازها . ثم انه في مواضع كثيرة سني رائع ولا سيما حيثما يأخذ في ذكر عزة الله

وقدرته . وهو وان كان قد كتب نثراً فلجملة
 وفقراته روي كثيراً ما ينقطع من أجله المعنى قبل
 ان يتم ويتكرر اللفظ تكررأً سخيفاً لم يكن له لولا
 الروي من ضرورة . وهو في النقل أشد سخافة
 منه في الاصل لانه يفقد في النقل حلية التسجيع
 التي جيء به من أجلها . لكن العرب مولعون بهذه
 الطنطنة أعني التسجيع جدا . حتى انهم يجيئون به
 في أهم مصنفاتهم وأكثرها تحريراً . ثم يحلوونها بآيات
 مقتبسة من القرآن وبإشارات اليه . حتى لا تكاد
 تفهم ما يكتبونه ما لم تكن مطلعاً اطلاقاً كافيّاً على
 القرآن .

ولعل ما ظهر للعرب في هذا الكتاب من
 سلاسة العبارة وحسن الرصف هو مما حداهم الى
 قبول الدين الذي جاء به . ولعله قوى في القرآن
 حججاً ما كانت لتقوم بسهولة لو جيء بها عارية عن
 هذه الحلية من البديع وفن الخطابة . فكم وكم

من قصة تحكي عما لزخرف القول من التأثير وسحر
 العقول اذا أحسن قاله اختيار الالفاظ وتلطف في
 سبكها وتنضيدها على ما يوافق غرضه فتفعل في
 الأبواب فعل الموسيقى . ولذلك صار مصارع الخطباء
 يعززون الى هذا الباب من فن الخطابة تأثيراً لا
 ينقص عن تأثير غيره من الابواب . ولعمري ان
 من لا تشجوه فقرة متزنة اللفظ حسنة السبك
 فبئس السمع سمعه . وما كان محمد يجهل ما لزخرف
 الخطابة من فعل السحر وسلب الالباب . فلذلك
 لم يهمل شيئاً من بهرج البيان وزخرف الخطابة
 فيما ادعاه من الوحي . هذا مع افراغ جهده في
 المحافظة على سمو عبارته حتى يكون خليقاً بالاله
 الذي نكله اياه ونسبه اليه وبذل وسعه في محاكاة
 أسلوب الانبياء أنبياء التوراة . فنجح فيما تجشمه
 أتم النجاح وخبل قلوب مستمعيه بزخرف قوله
 حتى خيل لخصومه أنه سحر كما نراه يشكو من

ذلك أحياناً . انتهى

(وأما المترجم والمذيل)

فانه قال في صفحة (٧٠) من تذييله على ذلك

الكتاب

واعلم اننا لسنا ننكر ان القرآن فصيح في بعض المواضع وانما ننكر دعواهم انه من حيث الفصاحة معجزة تفوق قدرة العباد كما أنكر ذلك قبلنا بعض فرقهم . أما فصاحته في بعض المواضع على طريقة فصاحت العرب فسلم بها ولا غم ولا ين يكون فيه شيء منها لان مصنفه من قريش أفصح قبائل العرب ونشأ فضلاً عن ذلك في بني سعد وكانوا في الفصاحة كقريش فاجتمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها وهذا ما حدها الى ان يقول متبجحاً انا أفصح العرب وأعطيت جوامع الكلم . ثم انه أقام في تصنيف كتابه ثلاثاً وعشرين سنة يختار في

أشائها من كلام قبيلته واطَّارده أبلغ أساليبهم ويتلقف أفصح الفاظهم ويعبر بها عما يقع في خده كلما تهيأ له ذلك فجاء كتابه فصيحاً في كثير من المواضع لكن لا يلزم من هذا انه معجزة كما أن أشعار زهير وخطب قس بن ساعدة والفاظ سحبان لا تعد معجزة مع انها من البلاغة والفصاحة والنصاعة بحيث لو قيس بها القرآن لقائته بمراحل . ولو كان القرآن كلام الله نفسه وكان الله يروم أن يتحدث العرب بفصاحته لكان ينبغي أن يكون أفصح مما نراه وأحسن نظاماً بكثير ولو جب أن ينزله عما نراه فيه من اللحن والخطأ والركاكة وغير ذلك من معاييب الكلام التي ما قدر الله حق قدره من نسبها اليه (انتهى)

ثم شرع المذيل في ذكر مواضع كثيرة من القرآن الشريف زعم أن فيها ما يخالف الفصاحة والبلاغة وأثبت فيها بزعمه عيوباً جمّة ظاهرة من الخطأ واللحن

والركاكة من قبيل مخالفة القياس . والكلام
المبتور . والزيادة المخلة بالفصاحة المحيلة الى غير مراد
قائله . والانتفات من الغيبة الى الخطاب والخطاب
الى الغيبة . وتكرار اللفظ الواحد في الجملة الواحدة .
وتنافر الحروف . والمعاينة وفساد المعنى . وغيرها
من معائب الكلام مما لو أمعن محقق نظره في
انتقاداته ليرى انه ما فلتت من سهام رده وانتقاده
الآية الكرسي حث اعترف بعلو فصاحة هذه
الآية الكريمة لئلا يقال انه جاهل بالفصاحة والبلاغة
أو أعماه الغرض والتعصب بحيث لا يري الحقيقة .
ولا بد من أن يطلى الى تلك الشبهات كثير من أصحاب
الاحلام الضعيفة ويميل بها عن الحق أرباب القلوب
المريضة لان الناس بطباعهم متزلفون الى الفئمة الغالبة
ميالون الى الشبهات الباطلة متملقون لارباب الجاه
والسلطة الزائلة . فكم رأينا من الناشئة الحديثة من
أبناء صميم العرب من يعتمد الرطان في كلامه وعجمة

في نطقه وتحريفه في لهجته تقليداً لاهل الغرب
وتشبهاً بدعاة التمدن الحديث وتزلفاً الى أهل الجاه .
وما نتجت تلك الشكوك والشبهات الا بسبب
انحراف المفسرين عن الصراط المستقيم في بيان
كيفية حجية القرآن وتفسير آياته . فلو أثبتها العلماء
من طريقها وفسروها على وجوهها لما انتهى الأمر
الى المناقشات السخيفة والانتقادات الباردة .
وذلك لما أشرنا اليه سابقاً ان الفصاحة والبلاغة
من الاوصاف الخفية الغامضة الدقيقة التي تختلف
فيها الاذواق وتتشعب فيها الآراء والانظار وتسهل
فيها المناقشة والمغالطة وتنطبع الشبهة فيها على
القلوب البسيطة والعقول الضعيفة . خصوصاً اذا
ساعدتها العاطفة الدينية والرابطة الجنسية والعصبية
الجاهلية . وقل من يعرف حقيقة بلاغة البيان
وفصاحة الكلام من مهرة الكتاب وحملة
الاقلام . والا لكان كل كاتب مصنفًا بليغًا

وكل متكلم خطيباً مصقفاً منطيقاً. فما أسهل المناقشة
 فيها على المستأجرين وما أسهل قبولها على المستضعفين
 وليكن ما ظهر من الرسول عليه السلام بسبب
 نزول القرآن عليه من العلم والقدرة على هداية
 الأمم وإزالة اسقام أهل العالم وتأسيس الشريعة
 الإلهامية وإيجاد الأمة الإسلامية رغمًا للأمم
 الكبرى ومباينا للديانات العظمى أمر ظاهر
 محسوس تصعب فيه المناقشة ولا تفيد معه المغالطة
 فمن الذي يمكنه أن ينكر الأمم العظيمة كالعرب
 والفرس والحزرو والترك والهنود والصينيين وأهالي
 أفريقيا خرجوا من ظلمات الشرك وعبادة النار
 والأوثان وانكار الأنبياء ودخلوا في نور التوحيد
 وعبادة الله وحده والإيمان بانبياؤه ورسوله وملائكته
 وكتبه . فان تلك الأمم العظيمة كانوا من عبدة
 النار والأوثان قبل نزول القرآن وكانوا لا يعرفون
 موسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام . فتلك

الأمم اهتدت وأسلمت وآمنت بسبب السابقين
 الأولين من المسلمين والمسلمون انشأوا ووجدوا
 بسبب الاسلام والاسلام شرعه وأوجده النبي
 الكريم والنبي عليه السلام صار نبياً بما نزل عليه
 من القرآن العظيم . وهذا سر ما ألهم الله به المكابرين
 المكذبين بقوله (فَاتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ
 أَهْدَى مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . نعم كثيراً
 ما رمى الاسلام بأنه نشر بالسيف وقام بالاجبار
 لا بالدعوة والحجة والاختيار . وقد فندناه واجبنا
 عنه سابقاً ونكرر الكلام في هذا المقام اثباتاً
 للمطلوب وتثبيتاً للقلوب . فانه لو تصفحنا تواريح
 المسلمين وقفيناً على آثارهم وتبعنا أخبارهم لأنجد
 فيها أدنى إشارة بان النبي عليه السلام أو الخلفاء
 وملوك الاسلام اجبروا أمماً على اعتناق الديانة
 الاسلامية . بل نرى بالعكس فيها ان الخلفاء
 الأمويين والامراء المروانيين المعبر عنهم في الكتب

المقدسة بالتنين الهائل أو الوحش الصاعد من
 الهاوية كانوا يمنعون الناس عن الدخول في الديانة
 الاسلامية خوفا على الضرائب وتكثيراً للجزية
 لحرصهم على جمع الاموال و صرفها في الشهوات
 الخبيثة واللذات الدنيئة . حتى كتب عمر بن عبد
 العزيز ذلك الملك الموصوف في كتبهم بالعدل
 والزهد الى أحد الامراء توبيخاً له على منع الناس
 من الاسلام (ان محمداً عليه السلام بعث هادياً وما
 بعث جانياً) وهذا مما ينبه العاقل الى كيفية انتشار
 الاسلام ويكفيها مأونة البحث والتطويل في هذا
 المقام . واما الديانة النصرانية علي ما نعتقد فيها من
 نهاديانة الهية وشرعية سماوية لو تصفحنا تواريخها
 وتبعنا تصاريقها لنجدها ملطخة بالدماء مخبرة عن
 أفظع الانباء مملوءة من ذكراً جباراً الامم على اتباع
 دياتهم بقتل النفوس و حرق الاحياء فكما اهرقوا
 دماء وأحرقوا احياء وأرملوا نساء وأيتوا اولاداً

وأبادوا أمماً وأعدموا اقواماً ترويحاً للتثليث وانتصاراً
 للصليب . ومن شاء الاطلاع على بعض ما ذكرناه
 فليراجع تاريخ الكنيسة تأليف الفاضل المؤرخ
 يعقوب مردوك الامر يكاني المطبوع في القاهرة
 حاضرة بلاد مصر . وما نشاهده اليوم في كيفية
 نشر دينهم يكفيها عن مأونة البحث والتنقيب فيما
 سلف . فان قباب مجدهذا الدين في زماننا منصوبة
 على ثلاث دعائم . دسائس المبعوثين . ومدافع
 المحاربين . وهبات المساعدين . على علم منا ان
 التعليمات المقدسة المسيحية مستغنية بنفسها عن تلك
 الوسائل وبشارات الانجيل الجليل منزهة بذاتها
 عن تلك الغوائل . إلا أنه هو البشر اذا زلت
 قدمه عن الصراط وزاغت بصيرته في رؤية الحق
 لا يرى قوة كلمة الله ولا يبصر نور بشاراته ولا
 يعرف استغناؤه عن غيره فيتمسك بكل باطل
 ويستنصر من كل زائل . فلنترك انصار الدين

ليبهروا عقول العالمين بنادق دُم دُم ومدافع مكسيم
ولنف بما وعدنا به من الرد على ما انتقدوا به على
القرآن العظيم

وقد علم مما ذكرناه سابقاً أن اعتقادنا في
القرآن أنه حجة بالغة ومعجزة دامغة بسبب ما اودع
الله فيه من القدرة والهداية لا ينافي أن نعتقد فيه
بأنه بلغ حد الإعجاز أيضاً من جهة الفصاحة
والبلاغة . لانا أثبتنا أن مظاهر أمر الله عموماً
والسُدرة المباركة والكلمة الاولى خصوصاً كما
فاقوا الناس في جميع خلال الشرف وأوصاف
الكمال من العلم والحلم والحكمة والشجاعة والصبر
والعزم والحزم وغيرها من الاوصاف والخلال فاقوهم
أيضاً في جمال الصورة واعتدال القوام وبلاغة البيان
وفصاحة الكلام بحيث لا تضاهيهم نفس في وصف
من الاوصاف ولا يماثلهم أحد في خلق من الاخلاق .
غاية ما في الباب هي أن تلك الخلال ليست مما يدركه

كل انسان ويبلغ الى كل قطر وينتهي الى كل جيل
لتكون الحجة بالغة والمعجزة شاملة . فاذاً والحالة
هذه يجب أن نفي بما وعدنا به من ابداء ملاحظتنا
على ما كتبه الفاضل الانكليزي في فصاحة القرآن
وتفنيد ما زعمه وتوهمه في سبب انتشاره ونفوذ
بين الملل والاديان . فنقول متوكلين على الله المستعان
(قال صاحب كتاب مقالة في الاسلام)

وعبارات القرآن حسنة منسجمة في أكثر
المواضع . ولا سيما حيث يحاكي أسلوب الانبياء
ويتقيل نمط التوراة وهي موجزة وغالباً عويصة
مستقلة . الى آخر كلامه

(ونقول في جوابه)

يؤم أن عبارات القرآن غير حسنة وغير
منسجمة في بعض المواضع . الا أنه بالدهاء التي
عرفت بها الامة الانكليزية أبي عن تعيين تلك
المواضع وتركها تحت الاجمال . علماً منه أنه

سيصادف صعوبات من حملة الاقلام واشياع الحق وانصار العلم وحماة الخطابة والكتابة وأعضاء الفصاحة والبلاغة . فوقع في شركه ذلك المسكين الشامي فعين بزعمه بعض تلك المواضع مما اوجب افتضاحه كما سيوضح ان شاء الله تعالى . ثم اؤم أن عبارات القرآن الكريم في حمد الله وثنائه ونعمه وآياته كأنها منتحلة من التوراة الجليل وتقوله النبي عليه السلام من كتب أنبياء بني اسرائيل . ونحن لا ننفد ما زعمه وتوهمه بما نزل في نفس القرآن حيث قال جلّ وعلا (وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) . ولا بما جاء في الاصحاح الرابع عشر من كتاب حزقيل حيث قال الرب الجليل (واذا ضلّ نبي وتكلم بكلام فانا الرب قد اغويت ذلك النبي وسأمد يدي عليه وأبيده

من بين شعبي اسرائيل) . لان مراتب قدرة الله تعالى وقوته على تنفيذ ارادته وغلبته وقاهرته فوق عباده ومراقبته واحاطته على خلقه هي مما لا تراه الا عين العمشة ولا تدركه البصائر المطموسة ولا تفهمه القلوب المطبوعة . ولذلك لا يخشاه الا العلماء ولا يهاب سطوته الا النباه ولا يأمن باسه الا الجهلة والاغبياء . ومن المقرر أن مالا يعتبره المغرورون شيئاً في زماننا انما هو ارادة الله ومشيتته واحاطته وقدرته . بل نقول لو أصغى الانسان الى أمثال هذه الشبهات ليلتزم أن يكذب جميع الانبياء ويترك كل الديانات الكبرى ويرجع متقهقراً الى الوثنية بل الهمجية الاولى . لان الامة النصرانية نقول أن محمداً نقول القرآن على الله وأنحلها من الانجيل . واليهود يقولون أن عيسى انتحل تعاليمه من كتب انبياء بني اسرائيل . والزرذشتيه (اى الفرس الاولى) تعتقد أن موسى وأنبياء بني

اسرائيل لفقوا كتبهم مما اتحلوه من كتب انبياء
الفرس . والصابئة تقول ان المتأخرين جميعاً نهبوا
تراث الاولين واتحلوا لانفسهم فضائل الاقدمين .
قال أحد كبار الزردشتية في كتاب سُدْره وكُشتي
مترجمته (ان داود الحداد أخذ عبارات الحمد والثناء
والتوحيد والتفريد لله تبارك وتعالى من كتاب
أوستا ومزجها بالاغاني التي اتحلها من فصحاء
الفرس ولفقها باسم مزامير ونشرها بين رعاة آل
اسرائيل) وقد تبين لك مما ذكرناه ان المتأخر
يقول في ردّ مظاهر أمر الله عين مقاله المتقدم
واللاحق يمشی على أثر السابق . والعاقل المحقق
لا يرجح قول أمة على غيرها من غير مرجح
والمرجح مفقود كما يعرفه اللبيب . فاذا جاز لأحد
ان يشك في القرآن باحتمال انه ربما اتحله النبي عليه
السلام من كتب انبياء بني اسرائيل بسبب ما يوجد
فيهما من صفات الله تعالى فلم لا يجوز له ان يشك

في الانجيل مع ما يرى جميع تعليماته في كتاب
كنفوس سيوس نبى الامة العظيمة الصينية وشارع
الديانة البوذية . وهذا سر ماقلنا ان الاعتناء بهذه
الشكوك ينتهى الى عبادة الاوثان بل يوجب هدم
صروح جميع الاديان . وهل يوجد دين من
الاديان الا وقد وصف الله تعالى شارع في كتابه
بالوحدانية والقرسانية والعزة والحكمة والقوة
والقدرة وغيرها من اوصاف الكمال ونعوت
الجلال . ثم وأى مشابهة توجد بين ما جاء في القرآن
المجيد من اوصاف التقديس والتنزيه وما جاء في كتب
انبياء بني اسرائيل من نعوت الخلول والتشبيه .
هل يوجد في القرآن أنه ترأى له الرب تعالى كريح
عاصف وفي وسطه أربعة حيوانات ولكل واحد
أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة وأرجلها
أرجل مستقيمة واقدامها كقدم العجل وهي تبرق
بريق النحاس الصقيل الى آخر ما جاء في أول كتاب

حزقيل في أوصاف الرب الجليل . وهل يوجد
 في القرآن الكريم انه ترأى له الرب تعالى قضيباً
 ساهراً كما جاء في أول سفر أرميا . وهل يوجد
 في القرآن العظيم انه ترأى له الرب جالساً على عرش
 رفيع واذياله تملأ الهيكل ومن فوقه السرافون
 قائمون لكل واحدسة أجنحة باثنين يستروجه
 وباثنين يسترجليه وباثنين يطير كما جاء في الاصحاح
 السادس من كتاب أشعيا . الى كثير من أمثالها .
 وليس المراد مما ذكرناه اهانة الكتب المقدسة
 معاذ الله والخط من مقامها لاننا اظهرنا اعتقادنا
 في وجوب اعتبار القسم الالهامي منها آنفاً . بل
 المقصود اثبات عدم المماثلة والمشابهة بينها وبين
 ما جاء في القرآن الشريف كما تحمله ذلك الفاضل
 وغيره من أصحاب الرد والتشكيك والتكذيب
 والتثريب . ومن عجيب ما يرى النبيه في كتب
 هؤلاء المكذبين هو تناقض ارادتهم وتخالف

شبهاتهم فان فاندرا النمساوي رد على القرآن الشريف
 في كتاب ميزان الحق بانه لا يشابه كتب أنبياء
 بني اسرائيل في مقامات الحمد والثناء والاخبار
 والانباء وهذا الفاضل الانكليزي يرد عليه بحكم
 انه حذي حذوهم وحاكي أسلوبهم . فسبحان من
 قسم العقول والاحلام وفرق بين المدارك والافهام

﴿ وقال المصنف أيضاً ﴾

وهو وان كان قد كتب نثراً فجملة وفقراته
 روى كثيراً ما ينقطع من أجله المعنى قبل ان يتم
 ويتكرر اللفظ تكراراً سخيفاً لم يكن له لولا
 الروى من ضرورة . وهو في النقل أشد سخافة
 منه في الاصل لانه يفقد في النقل حلية التسجيع
 التي جيء به من أجلها . لكن العرب مولعون
 بهذه الطنطنة أعني التسجيع جداً حتى أنهم يجيئون به
 في أم مصنفاتهم وأكثرها تحريراً ثم يحلون بها
 آيات مقتبسة من القرآن وبإشارات اليه حتى

لاتكاد تفهم ما يكتبونه ما لم تكن مطلعا اطلاعا
كافيا على القرآن (انتهى)
طال ما رأينا أن كتاب الامة الانكليزية
ينددون على أهل الشرق ويلومونهم في استعمال علم
البيان وتخيير كلامهم بتشويق عباراته وترصيف
الفاظه وتسجيع جملة . كأن ملاحظة تقاطيع الكلام
وتزيينه بالرصف والترصيع والتسجيع وغيرها من
فنون البديع سيئة لا تمحى وذنبا لا يغفر . وحقاً
أن هذا من سقم الرأي وجحود الحق بل هو عين
التمويه والمخرقة . ولم أدر لماذا يستحسنون الترتيب
والترصيف وملاحظة حسن التقاطيع في آثارهم
ومصنوعاتهم ولا في الصنائع والآثار التي تدوم
دهوراً واحقاباً كالابنية والجسور والقناطر العظيمة
بل وفي المصنوعات الجزئية والآثار الطفيفة أيضاً
كالثياب والاحذية والمناطق وأمثالها مما تبلى
وتعدم في سنة أو سنتين . فلهم يتفمنون في انقاز

صنعها وتزويقها وترصيف ازرارها وتطبيق زواياها
غاية التفنن ويهتمون بها كمال الاهتمام . فاذا كان
هذا حالهم في الصنائع الزائلة والمهن الطفيفة لم لا
يجوزون لاهل الشرق أن يستعملوا الرصف
والتشويق والسجع والترصيع في النطق والبيان
الذي هو أحسن مزايا البشر وأعلى خصائص
الانسان . فان الانسان به يمتاز عن سائر أصناف
الحيوان ومنه يصنف الكتب وتبقى الآثار الدينية
والعلمية وتحخد الفضائل النقلية والعقلية وبه تهذب
الاخلاق والاعمال ويحلى الانسان بكرام الاوصاف
والخلال . اليس هذا من الشطط الفاضح والتمويه
الكريه .

وليس هذا التنديد والتثريب الفارغ إلا لان
لغتهم خالية عن كل مزية وعارية عن كل لطف
وسلاسة . وعلم البيان انما هو هندسة الكلام كما
ان معرفة السطوح ونسبة بعضها الى بعض هو

هندسة الاجسام . نعم يجب ان يكون الكاتب
والخطيب بصيراً بحسن الترتيب والترتيب عالماً
بمواضع الترتيب والتسجيع عارفاً بمواقع الاستعارة
والتشبيه لئلا يختل به المعنى ويفسد به التركيب
فيذهب بطلاوة الكلام ويخل بفائدة البيان . كما
انه يجب على الصانع ان يكون بصيراً بحسن ترتيب
أجزاء المصنوع ليظهر على هيئة ظريفة وهندسة
مقبولة .

وقد قلنا في سائر رسائلنا ان المحسنات البديعة
في الكلام انما هي بمنزلة الملح في الطعام قليله نافع
وكثيره مضر . وقلنا ان الفصاحة في الكلام هي
بمنزلة الحسن الاصلى في الانسان فان الفصاحة في
الحقيقة ليست الاحسن ترتيب أجزاء الكلام
وانتقاء الالفاظ المناسبة له كما ان الحسن الاصلى
في الانسان ليس الاعتدال القوام وتناسب الاعضاء
وتحسين الكلام بالمحسنات البديعية انما هو مثل

تزيين الانسان بالحلى والحلل الخارجية . فاذا لم يكن
في الانسان حسن الخلق الاصلى لا يحسنه التزيين
الخارجي كما انه لو أفرط في تلك الحلل الخارجية
لتستر حسنه الاصلى واعتدال قوامه الذاتي .
ولذلك لا يرى في عبارات الحريري والهمذاني
والحوارزمي وغيرهم من أئمة البيان وكبار الكتاب
من اللطف والرقه والطلاوة وحسن السبك واتقان
الوضع ما يرى في خطب أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب ورسائله وخطب سائر الأئمة والخلفاء .
مع ان عبارات الحريري وبديع الزمان اكثر تصنعاً
وأوفر تسجيحاً وأتقن تقطيعاً لانها صنفت بالتكلف
والتفكر والتروى والتدقيق بخلاف خطب الأئمة
فانها جاءت طبعاً وارتجالاً من غير تكلف وتفكر
وتروى وتأمل كما هو عادة أهل الانشاء والتأليف .
ولذلك قالوا (الطبع أملك) وهكذا النسبة بين كلام
الله وعبارات الأئمة فانه لطف وأرق وأحلى كما

هو ظاهر عند أرباب البصائر والنهي
وما توهم المصنف من انقطاع معاني الآيات
بسبب التزام الروي متسبب عن جهله بتلك المعاني
كما شكى منه أولاً حيث قال (وهي موجزة وغالباً
عويصة مستغلفة) وليست صعوبة ادراك معاني
الآيات السماوية وبعدها عن افهام العامة خاصة
بالقرآن العظيم وحده فان كلمات الانبياء بأجمعها
صعبة مستصعبة محتومة مكنومة عويصة على
القلوب المقلوبة بعيدة عن العقول الضعيفة خاب
من رامها قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب العظيم
وضل من فسرها قبل ان يفك ختمها الرحمن
الرحيم وقد قرأنا في كتب انبياء بني اسرائيل نقلا
عن الله تعالى (اني أريد أن أفتح في بالامثال
وأطلق بمكنومات منذ تأسيس العالم)^(١) فلو كانت

(١) وقد جاء في الآية الرابعة من الاصحاح الثاني عشر
من سفر دانيال (أما أنت يا دانيال فأخف الكلام

معاني كلمات الله ظاهرة مكشوفة سهلة مفهومة
يفهمه كل بعيد ويدركه كل غبي لم يبق ثم مكتوم
حتى يفتح الله فمه به في الامثال ويختمه انبياءه في
سابق القرون والاجيال . وأظهر دليل على صعوبة
فهم آيات الكتب السماوية هو أن علماء اليهود
اتفقوا على عدم انطباق بشارات التوراة على عيسى
عليه السلام فاتخذوها اقوى دليل على تكذيبه
وعلماء النصاري أجمعوا على انها منطبقة على ظهوره
تمام الانطباق فاستدلوا بها على تصديقه . اليس
هذا أظهر حجة وأقوى دليل وأتم برهان على ان
كلمات الانبياء بأجمعهم عويصة مستغلفة صعبة

واختم السفر الى وقت النهاية) وفي الآية التاسعة منه (ان
الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية) والى هذا اشير
في المصحف الشريف بقوله تعالى (يسقون من رحيق
مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

فرج الله زكي الكردي

مستصعبة . على ان علماء اليهود أخذوا تفاسير
الكتب بزعمهم عن آباء الكنيسة وورثوها كبراً
عن كابر وحافظو عليها جيلا بعد جيل . ومن هم
آباء الكنيسة . هم الانبياء العظام اشعيا وارميا
وزكريا وأمثالهم عليهم السلام . وحقيقة الامر
ان الامة الاسرائيلية جهلت معاني بشارات التوراة
ولذلك أنكرت عيسى عليه السلام وتبعها الامة
النصرانية واقفت آثارها الامة الاسلامية كالتشير
اليه الكلمة النبوية (لتسلكن سنن من قبلكم
شبراً فشبراً وذراعاً وذراعاً) (وقال المصنف
أيضاً) ولعل ما ظهر للعرب في هذا الكتاب من
سلاسة العبارة وحسن الرصف هو مما حداهم الى
قبول الدين الذي جاء به ولعله قوى في القرآن
حججاً ما كانت لتقوم بسهولة لوجيء بها عارية عن
هذه الحلية من البديع وفن الخطابة . فكم وكم من
قصة تحكى عما لزخرف القول من التأثير وسحر

العقول اذا أحسن قائله اختيار الالفاظ وتلطف في
سبكها وتنضيدها على ما يوافق غرضه فتفعل في
الالباب فعل الموسيقى . ولذلك صار مصاقع الخطباء
يزنون الى هذا الباب من فن الخطابة تأثيراً
لا ينقص عن تأثير غيره من الابواب . ولعمري
ان من لا تشجوه فقرة متزنة اللفظ حسنة السبك
فبئس السمع سمعه . وما كان محمد يجمل بالزخرف
الخطابة من فعل السحر وسلب الالباب (وهو
القائل ان من البيان لسحرا) فلذلك لم يهمل شيئاً
من بهرج البيان وزخرف الخطابة فيما ادعاه من
الوحي هذا مع افراغ جهده في المحافظة على سمو
عبارته حتى يكون خليقاً بالاله الذي نحلّه اياه ونسبه
اليه وبذل وسعه في محاكاة أسلوب الانبياء انبياء
التوراة . فنجح فيما تجشمه اتم النجاح وخب
قلوب مستمعيه بزخرف قوله حتى خيل لخصومه
انه سحر كما يراه يشكوا من ذلك احياناً . انتهى كلام

المصنف

لا يخفى على أهل العلم ان لكل مزية ومنحة من المزايا والمنح العالية المغبوضة من قبيل الغزة والثروة والملك والسلطنة والعلم والفضل والقصاحة والبلاغة وحسن الصوت وحسن البيان وغيرها مما يمكن ان تُنفذ به الكلمة وتجذب اليه القلوب قوة ظاهرة وغلبة وتأثيرات معلومة . الا انه لا يعقل ان تبلغ قوة تلك المؤثرات الى حد نشأ بها ديانة جديدة وأمة مستقلة تبقي قرونا واحقابا بدون اذن من الله تعالى . والا لتسقط حجة الديانات الحقّة ويخفى طريق معرفة الشرائع الالهية وينهدم منار الحق وتنطمس اعلام الهداية . اذ لا يبقى ثم مميز بين الحق والباطل والهادى والمضل ولا فارق بين الهداية والضلالة والرشد والغواية . وقد بينا فيما مضى من مقالاتنا مقدار دليلية المعجزات وحجية العجائب وأثبتنا

بالبراهين الواضحة انه ليست لها دلالة تامة مستقلة على صدق دعوى المدعى وحقية شريعة الشارع . ولذلك أبى السيد المسيح وامتنع الرسول الكريم صلوات الله عليهما عن اجابة طلبية العجائب واسعاف مأمول مقترحي المعجزات كما تشهد به مواضع من الانجيل وتُنطق به آيات من القرآن . والامم باجمعها شرع^(١) في رواية المعجزات عن شارع دينهم واسناد العجائب الى مؤسس شريعتهم بل الى شيوخ طرقهم وممهدي مذاهبهم بل الى اربعة اوليائهم ومضاجع اصفيائهم . وقد وضع الله تعالى للحق اعلاما لا تشبهه وبني له منارا لا ينهدم وقدر له امارات وآيات لا تنطمس . أعظمها وأوضحها واجلاها تلك القوة الملكوتية التي لا تشاركه فيها نفس والقدرة الالهية التي لا يأتي بمثلها أحد . وهي قوة انفاذ الكلمة البديعة والقدرة على ايجاد الديانة

الجديدة . وهي القوة الوحيدة التي تغلبها قوة
العالمين فتغلبها وتقاومها قدرة العلماء والامراء في
شرق الارض وغربها فتسقطها . فان محبة الدين
المألوف القديم سجية راسخة في قلوب العالمين
وكرهية الدين المستحدث الجديد شنشنة معروفة
في الجابرة والمتكبرين . والى هذه القوة الملوكوتية
والقدرة اللاهوتية أشار السيد المسيح بقوله (من
الآن ترون ابن الانسان جالسا على يمين القدرة
وآتيا على سحاب السماء) وجاءت في أم الكتاب
(لو يستروتني في طبقات التراب ليجدوتني راكباً
على السحاب) واليهما أشير في المصحف المجيد بقوله
تعالى (ان جنودنا لهم الغالبون) فلو فرض سقوط
هذه الحجة الواضحة وصرف النظر عنها بشكوك
واهية باردة . بم تثبت حقيقة الانبياء وكيف
يفرق بين الحق والباطل والثابت والزائل
فاذا عرفت هذا يظهر لك بطلان ما توهم

المصنف من ان العرب ربما اذعنوا للقرآن الشريف
بسبب فصاحة آياته وطلاوة عباراته . ثم اقسام
بذاته وخاطر بحياته بان من لا تشجوه فقرة مترنة
اللفظ حسنة السبك فبئس السمع سمعه . وفاته
ان فتح باب أمثال تلك الشبهات يضر بدينه أكثر
مما يضر بغيره ويثلم سياج الديانة النصرانية قبل
ان ينثلم به الشريعة الاسلامية فان اليهود يرمونهم
بانهم سلبوا عقول السذج بزخارف الدنيا من
الصفراء والبيضاء في أول ما قامت قيامة هذه الديانة
في أقطار آسيا وأروبا . ولعمر الله ان من يجذب
الى الفضة الوضاحة وينخدع من الذهب الوضوء
أكثر بكثير ممن تشجوه الفقرات الموزونة والاغاني
المطربة . خصوصاً اذا اختلق له أهل التموه أعجوبة
تنخلع منها القلوب البسيطة وتهلع لها النفوس
السادجة . راجع الفصل الخامس من كتاب أعمال
الرسول لترى العجب العجيب مما يسلب العقول

ويأخذ بمجامع الالباب . والامة الانكليزية أدري
الامم بمحبة المال وفعله في النفوس مما لو قيس به
من تأثيرات الاغاني والانعام لقاتها بمراحل . فاذا
اعتبرت أمثال هذه الشبهات الواهية فلا تتوقف
دون الاسلام وقل على جميع الديانات السلام
نعم لكل من الثروة والقوة والسلطة والخطب
والاشعار والاغاني والانعام آثار لا تنكر وأفعال
لا تستر . ولكن كل تلك المؤثرات كانت عند
منكري القرآن أوفر وأكثر وكان تأثيرها في ابقاء
النفوس على دياتهم الاصلية وطريقتهم الموروثة
أقوى وأسهل . وكان في العرب ممن انكروا رسالة
سيدنا الرسول وحاربوه وناصبوه العداوة كابي
جهل وأبي سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابني
ربيعة ونضر بن الحارث وكثير من أمثالهم من
مصارع الخطباء ومشاهير الفصحاء ممن خلد ذكركم
في متون الكتب وصفحات التاريخ . فاذا كانت

الفصاحة والبلاغة بهذه الدرجة مؤثرة ونافذة
فهلاً أثرت تلك الالسنه الطليقة والخطب البليغة
والجمل الموزونة والنعفات الشجية في ابقاء العرب
على دياتهم الاصلية . وقبولها أسهل على النفوس
من قبول ديانة جديدة غير موروثة وطريقة غريبة
غير مألوفة . ليس ذلك لان قدرة الله فوق قدرتهم
ومشيئته فوق مشيئتهم . وان أسباب السماوات
قد تقطعت بها الاسباب . وان الديانة لا تنشأ
بتخليب العقول وسلب الالباب . أما صرح زميله
الشامي ان في القرآن الشريف كثيراً مما يخل
بالفصاحة حتى كاد ان لا تفلت من سهام ردوده
واعترضاته الا آية الكرسي فأين هذه الفصاحة
التي خلبت بها عقول القوم وسلبت بها الالباب العرب
ولقد قال صاحب التذييل ان خصوم محمد لم يروا
شيئاً من المعجز في هذه المعجزة (اي في كلامه)
فردوها عليه وهم انما كانوا عرباً فصحاء . وقال

أيضاً ان أشعار زهير وخطب قس بن ساعدة
والفاظ سبحان لا تعد معجزة مع انها من البلاغة
والفصاحة والنصاعة بحيث لو قيس بها القرآن
لنماته بمراحل . وقال أيضاً . ولو كان القرآن كلام
الله نفسه وكان الله يروم ان يتحدثى العرب بفصاحته
لكان ينبغي ان يكون أفصح مما نراه وأحسن
نظاماً بكثير ولوجب ان يتنزه عما نراه فيه من
اللحن والخطأ والركاكة وغير ذلك من معاييب
الكلام . الى آخر كلامه . فهدم المذيل الشامي
ماشاده أستاذة الانكليزي في أصل المقالة . ولعمر
الله لا يعقل ان الامة العربية التي كان فيها من
الشعراء والخطباء من لا تنكر فصاحتهم وبلاغتهم
وكانت عندهم من خطب قس واشعار زهير
ما فاق القرآن الشريف بزعمه لتسلب عقولهم
وتحلب الباهم بالقرآن الذي فيه كما توهمه
من الركاكة واللحن والخطاء ما لا يستر ولا يخفى

فاذا كان القرآن الشريف في مراتب الفصاحة
والبلاغة بدرجة أذهل الباب فصحاء العرب
وأعجزهم عن مقاومته حتى خلعوا قبيص ديانتهم
الاصلية وتقمصوا بحلة الشريعة الجديدة الإسلامية
فقد ثبتت صحة ما قاله علماء الاسلام أن فصاحة
القرآن وبلاغته فوق طاقة البشر . واذا لم يكن
فيه من الفصاحة والبلاغة ما يفوق فصاحة العرب
وبلاغتهم فقد ثبت بطلان ما توهمه الفاضل
الانكليزي من أن محمداً سحر الباب العرب
بتزويق الكلمات وحسن ترتيب الآيات وضح
أن هذا السفر الكريم والكلام القديم انما غلب
أهل العالم بقوته الالهية وقدرته السماوية لا برصف
الكلمات وتسجيع العبارات . والانسان لا يملك
نفسه من الضحك حينما ينظر في تعريض ذلك
الظن الشامي حيث قال (ان خصوم محمد لم يروا
شيئاً من المعجز في هذه المعجزة فردوها عليه)

فهل رأى خصوم سائر الانبياء شيئاً من المعجز في معجزاتهم وهل لم يردّوها عليهم . ليست الامة اليهودية أقرب الامم الى المسيح عليه السلام ترد عليه جميع معجزاته بعد انقضاء اكثر من الف وثمانمائة عام . أيجوز على أهل العلم أن تغلب عليهم العواطف الدينية أو العصبية الجاهلية بدرجة تخرجهم عن حد التعقل والاعتدال فيعترضون على شارع الديانة الاسلامية بما لم يسلم منه نبي في سابق القرون والاجيال .

ونوجه انظار أهل الاستبصار الى الثورة الفرنسية التي حدثت في سنة ١٧٩٢ من السنين الميلادية . فان فلاسفة فرنسا بعد ما نشأت فيهم روح الحرية وقاموا لقب السلطنة المطلقة الاستبدادية وأزمعوا على رفض العقائد المجهولة الوراثية رأوا أن بقاء الامم الاروية على العقائد الراهنة في الديانة المسيحية بعد تقدمهم في المعارف

الطبيعية والرياضية والفلكية ضرب من المحال . فارادوا أن يشرعوا لهم ديناً تكون عقائده الاصولية وشرائعه الادبية أبسط وأقرب الى العقول والاذواق من تلك العقائد العتيقة التي يعجزها الذوق السليم ويأبأها العقل المستقيم . فشرعوا ديناً أساسه أن يعبدوا الله وحده وجعلوا الكنائس محلاً للعبادات . وكان دستور ايمانهم بسيطاً حاوياً لقضيتين كبيرتين (الاولى) الاعتراف بوجود البارئ جل وعلا (والثانية) الاذعان بخلود النفس أي بقاء الروح جوهرًا مدركًا قائمًا بنفسه بعد الموت . وشرائعهم الادبية أيضاً مؤسسة على أصلين كبيرين (الاول) محبة الله تعالى (والثاني) محبة الخلق . وجعلوا مناسكهم مشتملة على صلوات وأذكار وتسيّحات رتبها لهم بعض فلاسفتهم . وقرروا لديانتهم هذه بعض شعاراً بسيطة أيضاً كوضع أطباق من الاثمار والرياحين على المذبح واستعمال

الموسيقى بالآلات والاصوات في المجمع . وبعد ما اكملوا واقتنوا اركان هذه الديانة واسسوها وشادوها بزعمهم على اساس متين عين وزير الامور الداخلية جماعة من كبار الكتاب والخطباء وارسلهم الى جميع بلاد فرنسا ليدعو الناس الى قبول هذه الديانة الجديدة . فجدوا كل الجد في ادخال ديانتهم في كل مدن فرنسا وانتشرت مقاصدهم الى بلاد اخرى . قال نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي في كتاب زبدة الصحائف في سياحة المعارف بعد نقل هذه الحادثة (وقد اتبعت هذه الديانة بعض انصار في باريس وغيرها ولكن لم يلتفت اليهم ثم بعد برهة يسيرة انقضوا وطفى خبرهم)

فاذا كانت الفصاحة والبلاغة ورصف الكلمات وتسجيع العبارات تؤثر على عقول البشر بدرجة تدعن للديانة الباطلة وترضخ وتخضع للشريعة المختلفة فهلا أثرت بلاغة هؤلاء الفطاحل الافاضل

وفصاحتهم في نشر دينهم الذي شرعوه بسامي عقولهم وقوة فلسفتهم وكان فيهم من كبار الكتاب وائمة البيان من يضرب الامثال بسحر الفاظهم وقوة أقلامهم وطلاقة ألسنتهم وحلاوة عباراتهم من اضراب (ولتير) واقران (جان جاك روسو) . وقد استعملوا العقل والتدبير والعلم والفضل والفصاحة والبلاغة واستخدموا القوة والسلطة والثروة والموسيقى بأجمعها لنشر الديانة التي شرعها واخترعها بزعمهم اسمى عقول بني الانسان من النوابغ والفحول وكبار الفلاسفة الذين قلما يوجد الزمان بمثلمهم . وقد أطاعهم جم غفير من قواد الجيش وزعماء الامة حيث نجحوا بهم تمام النجاح في تبديل السلطة الاستبدادية بالسلطنة الدستورية

ولكن الله تعالى أظهر عجزهم وأضل سعيهم وخيب آمالهم وبدد جمعهم في أمر الديانة التي قدر تشريعها وابقاها خاصة لمسيئته ومنوطة باذنه

وارادته لا بسائر الوسائل والاسباب . فكلم أظهر
الله تعالى ضعف مدارك البشر وضعة أفهامهم
وسخافة عقولهم وخفة أحلامهم فيما زعموا أن
تشريع الاديان من نتائج العقول البشرية ونشرها
واعلاؤها ممكن بالوسائل الملكية . وكلم أطل
غروهم وأوهن قوتهم وقصم ظهورهم واستأصل
شاقهم وأحل بهم بأسه ومثلاته وأنزل بساحتهم
نقمه وسطواته بما أرادوا أن يشرعوا ديناً بغير
إذنه وحاولوا أن ينشؤا شريعة بلا سابقة من
ارادته فان في قصص أرغون خان المغولي وسعد
الدولة اليهودي في ايران وعلاء الدين الخلجي في
هندوستان وفلاسفة فرنسا في أوروبا عبرة لاولى
الالباب وذكري وموعظة لاهل الكتاب .
وقد قلنا آنفاً انه اذا فتحت أبواب هذه الشكوك
ليدخل الانسان منها في سبيل الشك في جميع
الانبياء ولينتهي الامر الى هدم كل الاديان .

وسببه واضح عند من له الملم بالبراهين العقلية
والقياسات المنطقية وذلك لان الاحكام العقلية في
القضايا كلية لا تقبل التخصيص . ويترد الحكم العقلي
في جميع جزئياته وينطبق الكلي على افراده طبعاً
ويلتفت العقل الى هذا الاطراد فطرة . ولا يمكن
أن تحول العوارض الخارجية كالحب والبغض والميل
الى العصبية الملية أو الجنسية وأمثالها حين النظر دون
هذا الالتفات الطبيعي القطري . لانها عوارض
خارجة عن ذات القضية فيلتفت العقل اليه عند
عدمها وبعد زوالها بحكم النظر عند وجودها . فاذا
طراً الشك في قضية أثبات حقيقة دين الاسلام
بحكم ان شارع هذا الدين ربما طبع افكاره على
عقول القوم بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه وجوز
العقل امكان نشر الاديان بمجرد ذلاقة اللسان
وسجر البيان فيترد هذا الشك عقلاً في ديانة من
سبقه من شارعي الشرائع ومؤسسي الاديان بأنه

أيضاً ربما استخدم هذه القوة أو غيرها من القوى
والوسائل لبث آرائه وطبع افكاره على القلوب
الساذجة والعقول البسيطة من صيادي الاسماك
ورعاة الاغنام . ويتقوى هذا الشك كلما يتقدم
عهد الشارع اذ تساعده حينئذ ظلمة التواريخ
القديمة التي لا يفد شعاع النظر الثاقب طبقات
ظلماتها لبعدها واندراس مهدها وكثافة طبقاتها
وتراكم شبهاتها . ولذلك عز وصعب عليهم اثبات
وجود شارعى بعض الاديان العتيقة من حيث
التاريخ فكيف الطريقة التي اتخذوها وسيلة لنشر
أديانهم وبسط آرائهم . ولعمر الحق لو جاز لاحد
أن يشك فى الكتاب الذى هو أبعد الاشياء عن
السحر وفى الكلام الذى هو أشرف مزايا
الانسان بشبهة انه ربما سحر المتكلم الباب الناس
به فكيف بالأحرى يجوز له أن يشك فى العجائب
التي اتخلوها الانبياءهم وهي من جنس السحر

المزعوم وبينهما مماثلة ظاهرة ومشابهة واضحة .
أيظن الفاضل البريطانى أن فلاسفة مصر الذين
حملوا معجزات موسى على السحر والشعوذة
كانوا أقل نباهة وأقصر نظراً منه ومن أمثاله .
وهم الذين تشد الرحال فى كل سنة من أوروبا وأمريكا
لمشاهدة أعمالهم الهائلة التي تشهد بسعة معارفهم
وسمو افكارهم . وتحمل الالهوال وتصرف
الاموال لزيارة آثارهم المدهشة التي تنطق بعلو
مداركهم ودقة انظارهم
والاذعان بالسحر بالمعنى الذى تزعمه العامة
انما هو من بقايا ظلمات أوهام العصور المظلمة
الغابرة التي مزقت ستارها انوار طلوع شمس
العلم وازاح كثافة تراكمها بزوغ نير الحق . ومعنى السحر
حقيقة كما يدل عليه اخبار أئمة أهل البيت الواردة
فى كتاب بحار الانوار انما هو يساوق معنى الباطل .
اذ لا بد لكل أمة أنكرت حقية رسالة رسول

ان تحمل آياته وبياناته على الاباطيل لاعلى الحقائق .
 كالصائبة في تكذيب موسى واليهود في تكذيب
 عيسى والنصارى في تكذيب سيدنا الرسول عليهم
 السلام وهلم جرا . وأئمة أهل البيت عليهم السلام
 بصرف النظر عما منحهم الله تعالى من رتبة الولاية
 المساوقة لنبوته أنبياء بنى اسرائيل كما يدل ذلك عليه
 قول الرسول عليه السلام (علماء أمتي كانبيا بنى
 اسرائيل . أو أفضل من أنبياء بنى اسرائيل) انما
 هم من صميم العرب ونقاوة اقبائلها وهم أعلم بموارد
 استعمال ألفاظ اللغة العربية ومعانيها الحقيقية
 من المتطفلين على موائدها والدخلاء في نواديتها بعد
 ما أخنى الدهر عليها وهدمت أدوار القرون معالمها
 ومبادئها . فينتج مما تقدم ان فاتح أبواب أمثال
 تلك الشكوك يهدم بها أركان دينه الذي يعتقد
 صحته قبل ان تضر شكوكه بسائر الأديان . ولذلك
 تري انها اضررت بالديانة الطاهرة المسيحية أكثر

مما أراد ان تضر بالشريعة المقدسة الاسلامية .
 وكثرت وزهت بين النصارى من الشيع المادية
 والدروينية والاشتراكية والفوضوية جمعيات
 تنكر جميع الانبياء وتستهزء بكل الأديان . حتى
 ارتاعت عقلاء أوروبا من نماء هذه الشيع وهالهم
 تقدمها السريع . ويدل ذلك عليه ما قاله بعضهم للوزير
 الشهير غلادستون حينما رآه واجفاني نفسه خائفاً
 على عواقب قومه فسأله قائلاً (اتخاف ان يهدم
 العلم لشدة سيره أسس اللاهوت التي هي أس
 الحياة الاجتماعية) وما قاله القس الشهير لوازون
 الخطيب الفرنسي حينما خطب في مسرح الحديوي
 بين جماعة أنافت افرادها على الفين من أفضل
 المسلمين والنصارى من كبار العلماء والأمراء
 وقناصل الدول والاذكياء من أهل مصر . فان
 ذاك الخطيب الطائر الصيت قال في جملة خطابته
 (ولقد أدهشني في مصر اثر ان لمعني ليس في قبور

الفراعة ولا هياكلهم . وهما الجامع الازهر وتمثال
ابراهيم . هذان يشيران الى المستقبل وتلك تحدث
عن الماضي . فالجامع الازهر بعشرة آلاف من
طالب العلم الوافدين عليه من اقاصى البلاد بين
مراكش والصين خليق بان يموج بالعالم الاسلامي
فاحفظوه احفظوه فان به تأيد كلمة الله التي أخذت
الآن تنقلص عن آفاق أوروبا . ويخشى اذا هي
زالت بالمرّة ان تقع في همجية أشد من همجية
أحقر طبقات المتبررين)

وكيف لا يأخذ الهلع والروع بقلوب امثال
لوازون ومكلم غلادستون ممن يهيمهم عواقب قومهم
وهم يرون بأعينهم انه يخرج في كل سنة من مدارس
اوروبيا جيش عرمرم من الشبان متقلدين سيوف
العلوم الطبيعية مدججين بأسلحة العقائد الدروينية
هاجمين على المعتقدات الدينية ساخرين بالشرائع
الالهية مستهزئين بالصحف السماوية قاذحين في كل

سيادة روحانية . اذ لا يجدون مخرجاً من دائرة
علومهم ومعارفهم المكتسبة فان أصولها ومبادئها
مبرهنة عندهم بالبراهين الحسسية القطعية . ولا
يعرفون طريقاً لتوفيقها وتطبيقها على ما جاء في
الكتب السماوية فانها رموز واسارات نبوية مختومة
والغاز واستعارات خفية غير معلومة . مثلاً كيف
يمكن للفلكي الذي عرف بالبراهين حقيقة الكرات
الدائرة في الفضاء التي هي غير متناهية من جميع
جوانبها بانها شمس ثابتة في مركزها وسيارات
دائرة حول تلك الشمس وأقمار سائرة حول تلك
السيارات وانه ليست هناك اجسام صلبة شفافة
غير قابلة للحرق والالتئام . ان يعترف بما جاء في
التوراة والانجيل والقرآن من انفطار السماء
وتزعزعا وطبها وتبدلها وتجديد السماء والارض
واحتراق عناصرها وظلمة الشمس والقمر وانتثار
الكواكب على الارض وامكان الصعود الى السماء